أصناف النّاس والعبادة المطلوبة منهم

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 27 شوال 1433هـ الموافق لـ 14 سبتمبر 2012م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِهِ الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿ 01 ﴾ "سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿ 102 ﴾ "سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿ 70 ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ 71 ﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، في هذه الجمعة المباركة، نتناول موضوع :

أصناف النّاس والعبادة المطلوبة منهم

معاشر الإخوة الكرام ،

علمنا أنه على المؤمن أن يجدّ ويجتهد في العمل ، وأنّ العمل بدون اخلاصٍ كالبنيان بغير أساسٍ ، والعمل من غير اتّباعٍ للسّنّة كالبنيان بدون سقف ولا جدران .

ولكنّ السّؤال المطروح ، هل إذا اجتمع الأساس والسّقف والجدران ، هل يمكن سكن البيت أم يحتاج نوافذ وأبوابٍ وفراشٍ ومطبخٍ وحمّامٍ ، هذا ممّا ليس منه بدّ وإلاّ ما أمكن السّكن ، وهذا ما نسمّيه الإتقان أو قل إن شئت الإحسان وذلكم أعمّ.

واعلموا إخوتي الكرام ، أنّ صفة الإتقان وَصَفَ الله بها نفسه لِتُنْقَلَ لعباده. قال تعالى :

" . . . صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ . . . ﴿ 88 ﴾ " **سورة النّمل.**

هناك علاقةٌ متداخلةٌ بين الإتقان والإحسان ، فالإتقان يتعلّق بالمهارات الّتي يكتسبها الإنسان ، بينما الإحسان قوّة داخليّة تتربّى في كيان المسلم وتتعلّق في ضميره وتُترجَم إلى مهارةٍ يدويّةٍ لأيّ عملٍ يقوم به ، فالإحسان أعمّ وأشمل، ولذلك فالقرآن والسّنّة ركّزا على مصطلح الإحسان ، فالإسلام سبق الحضارة الغربيّة إلى الإتقان، ولّما كان الغرب يتقن عمله أصبحنا نمدح سلعته ونقول : (هذه سلعة ألمانيّة أو يابانيّة أو غيرهما).

قال تعالى : " . . . وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ 195 ﴾ " **سورة البقرة** . وهو تأدية الشّيء أيًّا كان على أحسن وجهٍ وأفضل أسلوبٍ.

ولقد ربط الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بين الإتقان والإحسان ،

روى مسلم عن أبي يعلى شدّاد بن أوس رضي الله عنه **عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم** : (**إنّ الله كتب الإحسان على كلّ شيءٍ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذّبحة وليحدّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**). والمقصود في الحديث أن يؤدّي العمل بإتقانٍ.

وفي الحديث الّذي أخرجه أبو يعلى والطّبراني وصحّحه الألباني في الصّحيحة لشواهده عن عائشة رضي الله عنها قال عليه الصّلاة والسّلام : (**إنّ الله يحبّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يُتقِنه**).

إذًا معاشر الإخوة الكرام ، ينبغي لكلّ أحدٍ أن يتقن عمله الّذي تعيّن عليه ، بل إنّ أفضل عبادةٍ يقوم بها في ذلك الوقت هو إتقان ذلك العمل.

وأعلى مراتب الإيمان الإحسان ، وهو أداء أيّ عملٍ في غاية الإتقان.

فأفضل عبادةٍ للغنيّ بعد الفريضة الإتقان في سُبُل الخير ، كرعاية اليتامى وإقامة مستشفىً للمرضى ، أو إنشاء مدرسةٍ شرعيّةٍ أو تفريج كربةِ مريضٍ أو مُعْسِرٍ:

" مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿ 261 ﴾ " سورة البقرة.

وأفضل عبادةٍ تقوم بها المرأة بعد الفريضة طاعة زوجها ورعايته.

ففي صحيح ابن أبي حاتمٍ عن أبي هريرة قال **قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : (إذا صلّت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصّنت فرجها وأطاعت بعلها دخلت من أيّ أبواب الجنّة شاءت) .**

ودليل أهمّ عبادة للزّوجة بعد الفريضة طاعة زوجها ، ما رواه التّرمذيّ وحسّنه الحاكم وصحّحه عن أمّ سلمة رضي الله عنها قالت **قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : (أيّما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنّة).**

وأفضل عبادةٍ للعالِم بعد الفريضة تعليم الدّين والدّعوة إلى ربّ العالمين.

قال تعالى : **" الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿ 39 ﴾ " سورة الأحزاب.**

أفضل عبادةٍ للعالم هو تعليم دين الله للنّاس ، خيرٌ من النّافلة ، خيرٌ من التّجارة ، خيرٌ من أيّ عملٍ آخر ، وصِفة خشية الله تعالى للعالم مُلازِمةٌ له ، تذهب صفته بأنّه عالمٌ بغياب خشيته لله وحده دون سواه.

أنا حينما أقول الطّائرة كبيرةٌ ، هي صفةٌ يشترك مع الطّائرة غيرها كالسّفينة والغوّاصة والشّاحنة ، لكن حينما أقول الطّائرة تطير ، لو نزعت منها صفة الطّيران لم تصبح طائرةً ، تصبح راسيةً في مكانٍ كمتحفٍ .

إذًا هناك صفة لو تُنْزَعُ تُذهِب ذات الموصوف ، إذا قُلْتُ طائرةٌ لا تطير ، أصبحت كالمعدوم ، أو سفينةٌ لا تُبحِر ، تصبح بذلك كالمعدوم ، كذلك في الآية ، فالعالم جعل الله تعالى له صفةً لازمةً تذهب بذهابها ، وهي أنّ العالم

يخشى الله ولا يخشى أحدًا إلا الله ، فإن خشي غير الله لم يصبح عالمًا ، لأنّه سَيَفْتِي بغير ما يُرضي الله ، وهذا لا يصبح دينًا.

والعامل أفضل عبادةٍ يقوم بها في عمله اتقان عمله وبذل كلّ جهده فيه ، كالطّبيب والعامل في الإدارة لابدّ أن يخدما النّاس.

أما القويّ ذو السّلطان أفضل عبادةٍ هي إقامة العدل والشّرع وإنصاف المظلوم:

" يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ . . . ﴿ 26 ﴾ "سورة ص.

والّذي عنده وَالِدَيْنِ كبيرين فأفضل عبادةٍ يقوم بها بعد الفريضة هي الرّعاية والإحسان إلى والِديْه ، أفضل له من النّوافل وغيرها من الأعمال :

" وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا . . . ﴿ 23 ﴾ " سورة الإسراء.

ثبت في الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : (**جاء رجل إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يستأذنه في الجهاد ، فقال : (أحيٌّ والِداك ؟) ، قال : (نعم) ، قال : (ففيهما فجاهد))**.

هذا إذا كان الجهاد فرض كفايةٍ ، فلابدّ أن يأذن له الوالدان ، أمّا إذا تعيّن الجهاد فلا يُشترط إذنهما.

العالم الّذي لا يخشى الله وحده تصبح له صفة العالم مجازيّة ، والمرأة الّتي لا تطيع زوجها تصبح لها صفة الزّوجة مجازيًّا.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله ،

إخوتي الكرام ، لنا في كتاب الله تعالى تفصيلٌ وبيانٌ لهذه الحقيقة ، وهو أنّ كلّ صنفٍ من النّاس له أفضل العبادة الّتي ينبغي القيام بها بعد الفريضة.

فيوسف عليه السّلام لما كان مكلّفا بتبليغ الرّسالة تجده أنّه يؤدّي هذا الدّور في أصعب الظّروف وأحلكِها ، ولا تُنسيه غياهب السّجن ولا وحشته دَوْرَهُ في التّبليغ ، وهو في السّجن يقول لصاحِبَيْه ، قال تعالى : " **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿ 39 ﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ . . . ﴿ 40 ﴾** " **سورة يوسف.**

فهو يدعوهم إلى التّوحيد وترك الشّرك بالله تعالى.

وهذا لقمان الحكيم كانت أفضل عبادةٍ له ، وقد كان له إبنًا ، هي أداء دَوْرِ حُسْنِ تربيته فيقول لإبنه :

" **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿ 17 ﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿ 18 ﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿ 19 ﴾** " **سورة لقمان.**

أفضل عبادةٍ للأب مع ابنه هو نصحه وتربيته وتقويم سلوكه وإصلاح حاله.

وهذا ذو القرنيْن أفضل عبادةٍ قام بها هي إحقاق الحقّ ومحاربة الظّلم والشّرك ، فقد زوّده الله بالقوّة وأعطاه منها كلّ سبب ، قال تعالى في حقّه :

" **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿ 84 ﴾** " **سورة الكهف.**

قال تعالى في الدّور الّذي أدّاه وهو يسيح في أرض الله تعالى :

" **قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿ 87 ﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿ 88 ﴾** " **سورة الكهف.**

وحينما وجد يأجوج ومأجوج يعتدون على النّاس ، رفع الظّلم عن أولئك القوم المظلومين ، فأقام جدارًا بينهم وبين قوم يأجوج و مأجوج. وكان ذلك هو أفضل عبادة قام بها ذو القرنيْن ، أقام الحقّ وحارب الظّلم.

" قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿94﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿95﴾ " سورة الكهف.

فلو أنّ ذو سلطانٍ قويٍّ اشتغل بالعبادة والنّسك والنّافلة ، وترك الظّلم والشّرك ، لم يحصل على الثّواب الّذي يحصله لو قام بإقامة التّوحيد وحارب الظّلم وأقام العدل.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت وعافِنا فيمن عافيْت وقِنا شرّ ما قضيْت،

اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين.

اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بْقَوْمٍ فِتنةً فتَوَفّنا غير فاتنين ولامفتونين.

اللّهم إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عمل يُقرّبنا إلى حبّك.

اللّهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لقاك.

اللّهم لا تأخذنا على حين غِرّة، ولا على حين غفلة.

اللّهم إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا، اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا.

اللّهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها.

اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين، اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين، إنّك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت نستغفرك ونتوب إليك.